

طرق اتصال العرب بالغرب:

إن أثرت الحروب الصليبية على أوروبا إيجابيا، حيث اتصلوا بحضارة المسلمين وأخذوا منها، فأنها أثرت سلبا على المسلمين والعرب بصفة خاصة، فأدخلتهم في حروب على أرضهم دامت عدة قرون ومست مقدساتهم، وإن حاول العثمانيون الأخذ عن الأوروبيين في تنظيماتهم، إلا أن العالم العربي دخل في عزلة عن العالم الأوروبي والذي كان في طريقه إلى النهضة، فلم يستفدوا منه خلال القرون السادس عشر إلى الثامن عشر، ولم ينتهوا إلا بداية القرن التاسع عشر للتحدي الحضاري الغربي، فقد أصبح متفوقا عليهم في العلوم والصناعة والنظم والقوانين والعمارة وغيرها. وكان انفتاح العرب على الغرب بعدة طرق منها:

- حملة نابليون على مصر: على الرغم من أن أهداف حملة نابليون على مصر (1798-1801) كانت سياسية استعمارية بالدرجة الأولى وتركت آثارا اقتصادية واجتماعية سيئة على مصر كما ذكر ذلك الجبرتي، إلا أن الباحثين ومؤرخ الحملة الجبرتي لا ينكرون بعض الآثار الإيجابية للحملة وبخاصة في الجانب الحضاري، (الجبرتي، 1998، الصفحات 3/ب-د) فقد فتحت الحملة أبواب العالم العربي على الحضارة الأوروبية، بما اشتملت عليه من مبادئ سياسية وأنظمة إدارية وعلوم وآداب وفنون وطباعة وصحافة وغيرها، وقد رافق نابليون بونابرت في حملته فريق من العلماء في مختلف التخصصات من رياضيات وطب وجغرافيا وهندسة، وجلب معه مطبعتين، وأنشأ المجامع العلمية وأنشأ متحفا ومرصدا ومختبرا، وأقام مسرحا وأنشأ جريدتين باللغة الفرنسية، (المحافظة، 1978، صفحة 23).

بهذا أحدثت هذه الصدمة بداية اهتمام العرب بالعلوم الحديثة، فنجد بعض شيوخ العلم مثل حسن العطار (1766-1835) يتصلون بعلماء الحملة ويطلعون على كتبهم وآرائهم في الفلك والهندسة وبعض التجارب العلمية ويندهشون لذلك، ويقول العطار: "إن بلادنا لا بد أن تتغير أحوالها وتتجدد بها من المعارف ما ليس فيها"، وهذا يؤكد الشعور بالهوة العميقة التي باتت تفصل العرب والمسلمين عن الغرب الأوروبي (جدعان، د.ت، صفحة 110). وقد عبر الجبرتي أيضا عن شعوره بالخطر الذي يهدد الأمة، والجهود التي يجب أن تبذل لتدارك الهوة، ورأى أن في مجيء الحملة الفرنسية اختلاف الأحوال وفساد التدبير وحصول التدمير وعموم الخراب وتواتر الأسباب. (الجبرتي، 1998، صفحة ب).

البعثات العلمية: عقب خروج الفرنسيين من مصر وتولي محمد علي الحكم في سنة 1805، ونظر إلى أوروبا كمجتمع نشيط يستثمر موارده ويدير شؤونه استنادا إلى العقل، ويتخذ من القوة الوطنية معيارا للقانون والسياسة، أرد الاستفادة من أوروبا، فبعد أن استعان بمدرسين إيطاليين، رأى ابتداء من سنة 1826 أن يرسل بعثات من الطلبة على أوروبا وأخذت البعثات ترسل إلى فرنسا بانتظام، فكانت أعضاء البعثات يقرأون الكتب الفرنسية ويشاهدون الحياة الفرنسية، في فترة كانت بدأ فيها النزاع الحضاري بين الشرق الإسلامي والغرب الأوروبي. (حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة 1787-1939، د.ت، صفحة 75) أنشأ محمد علي المدارس العليا والمتمثلة في كلية الطب والصيدلة والهندسة والتمريض، كانت البعثة الأولى تتكون من أربعين طالبا موزعين على مختلف العلوم والفنون. وكانت عدد البعثات الأولى إحدى عشر بعثة، ساهمت في الاتصال بالغرب الأوروبي ومعرفة العلوم الحديثة (محمد، زكي، و أحمد، د.ت، صفحة 29).

الترجمة: ارتبطت الترجمة بالبعثات العلمية، وكانت المهمة الرئيسية للبعثات هي تعلم اللغات الأوروبية ونقل آثار الغرب إلى اللغتين العربية والتركية في مصر، فأُسست مدرسة الألسن سنة 1836، وجعل على رأسها رفاة رافع الطهطاوي، الذي كان قد سافر مع البعثة الأولى إلى باريس وبقي بها خمسة أعوام طالع فيها مؤلفات شتى العلوم، واطلع على الفكر الفرنسي، وحين عين على رأس مدرسة الألسن، عكف على نقل عدد من المؤلفات في الجغرافيا والعلوم العسكرية والتاريخ إلى اللغة العربية. كان الطهطاوي ترجمته وفي كتاباته يبحث عن إلى التمدن والتقدم، وهو يرى الهوة عميقة بين المسلمين أوروبا (جدعان، د.ت، صفحة 111).

اهتم محمد علي بترجمة الكتب العلمية والأدبية غير أن حركة الترجمة ضعفت في عهدي عباس وسعيد وأغلقت مدرسة الألسن، ثم الترجمة استؤنفت في عهد الخديوي إسماعيل، وأعيد فتح مدرسة الألسن في سنة 1867 واستعان بمترجمين من الشام فساهموا في حركة الترجمة التي شهدتها مصر في نهاية القرن التاسع عشر. (المحافظ، 1978، صفحة 31).

لقد كانت الترجمة في هذا الفترة ضرورة نظرا للتحدي الحضاري الذي واجهه المسلمون أمام الحضارة الغربي، ولكن الترجمة استمرت إلى اليوم، يقول حسن حنفي: "بل أننا ننجز مؤلفات تعرض أفكار ومذاهب الآخرين وكأن الترجمة أصبحت غاية وليست وسيلة، إن فترة التعلم من الغرب قد طالت، وفترة التتلمذ امتدت ومازالت مرحلة الإبداع بعيدة في الأفق، إن التعلم من الغير

المحاضرة الثالثة: طرق اتصال العرب بالغرب الأوروبي الحديث. الاتجاهات الفكرية، ماستر 1، تاريخ الجزائر الحديث.

د. صالح

وسيلة وليست غاية، ومرحلة وليس تاريخا ومجرد باعث ومحرك وليست بديلا عن شيء ذاته".
(بركات، 2000، صفحة 2).

الإرساليات التبشيرية:

لعبت البعثات التبشيرية دورا في التمكين للاستعمار ونقل اللغة والحضارة الغربية، كما ساهموا في الاعتناء باللغة العربية خاصة في المشرق العربي، ففي المغرب العربي صاحبت الاستعمار الفرنسي، حيث أشرف المبشرون على مجالات مهمة كالتعليم والطب والتمريض، بينما في بلاد الشام فبدأت البعثات التبشيرية في القرن السابع عشر، كان مجال عملها محدودا يقتصر على إنشاء عدد قليل من المدارس والمعاهد في أماكن متفرقة ونشر كتب العبادات، وكانت هذه البعثات كلها كاثوليكية ومعظمها فرنسية.

في سنة 1820 وصلت أولى البعثات التبشيرية الأمريكية التي نزلت بيروت، وكان اليسوعيون سبقوا الأمريكيان إلى دمشق وحلب ولبنان وأسسوا المدارس، ساهم التواجد المصري ببلاد الشام في توافد البعثات التبشيرية، وكان تركيزهم على التعليم، حيث كان ضعيفا سواء عند المسيحيين ام عند المسلمين، حيث عملوا على تطور التعليم وترقية اللغة العربية، فأنشأوا في سنة 1834 كلية عين طورة (عنطورة) التي ساهمت في تكوين الكتاب والمفكرين، كما أحضروا مطبعة من مالطة إلى بيروت. (أنطونيوس، 1978، الصفحات 97-100). وفي عام 1848 أنشأ المبشرون البروتستانت "الكلية السورية" التي كانت تدرس العلوم باللغة العربية في بداية عهدها. وفي العام نفسه أنشأوا "الجمعية السورية" في بيروت لنشر العلوم وترقية الفنون. بعدها أنشأوا عدة كليات ومدارس في دمشق وبيروت.

اهتم المسيحيون بتأليف كتب العربية وكتب مدرسية مختصرة، استعان المبشرون الأمريكيون بعالمين هما ناصيف اليازجي وبطرس البستاني وأصدرا الكثير من كتب اللغة العربية والكتب المدرسية والمعاجم والموسوعات.

الصحافة: ساهمت الصحافة إلى حد كبير في نقل أخبار الغرب الناهض إلى الشرق النائم أول جريدة مصرية صدرت هي "الوقائع المصرية" في عام 1828 صدرت باللغة التركية في أول الأمر ثم باللغة العربية، ومن أوائل المحررين فيه الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي، والشيخ حسن العطار، والشيخ أحمد فارس الشدياق والشيخ محمد عبده، وأول جريدة صدرت في لبنان جريدة "حديقة

الأخبار" أنشأها خليل أفندي الخوري. كما أصدر المسيحيون عدة جرائد منها التي أنشأها الأمريكيون اسمها "النشرة الأسبوعية" وأنشأ المسلمون ثمرات الفنون" بإدارة الشيخ عبد القادر القباني في 1860. (أرسلان، 2008، صفحة 29) وفي العراق أنشأ مدحت باشا والي بغداد "الزوراء"، فكانت أول جريدة، وصدرت في تونس جريدة الرائد التونسي كصحيفة رسمية في سنة 1861، كما أصدر حسين المقدم صحيفة "نتائج الأخبار فكانت من أول الصحف السياسية. ثم انتشرت الصحافة بشكل واسع في كل العالم الإسلامي في نهاية القرن التاسع عشر (المحافظة، 1978، صفحة 30).

أنشأت المدارس جيلا واعيا، اشتغل بترجمة الكتب العلمية ووضع المؤلفات المدرسية ثم نشطت الطباعة فساهمت في تسهيل وإحياء التراث اللغوي والأدبي، واستحدثت ضربا جديدا من النشاط الأدبي وهو الصحافة التي أيقظت الأذهان وحملت إلى قرائها لواء الدعوات السياسية والفكرية المختلفة: الوحدة الوطنية، الرابطة القومية، الجامعة الإسلامية، فساهمت في نشوء رأي عام عربي. ولقد اتصلت هذه النشاطات بعضها ببعض عن طريق الجمعيات والمكتبات والصحف وانتجت جيلا جديدا اهتم بالنهضة العربية. (بركات، 2000، صفحة 115)